حاج برتغالي إلى مكة في القرن [العاشر الهجري] السادس عشر الميلادي

جورجي ليفي دلاّفيدا

ترجمة وتعليق : عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري*

تقديم

هذه ترجمة لبحث بعنوان

Aportuguese Pilgrim At Mecca in the sexteenth Century

نشر في مجلة: The Moslem world volume xxx 11 1942 pp.283 - 297

وهو دراسة تحليلية لتقرير أعده أحد البرتغاليين الذين زاروا مكة المكرمة في موسم حج سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م ، ولم يفصح عن اسمه أو يعطي معلومات عن شخصيته ، وقد رافق قافلة الحاج المصري منذ انطلاقها من القاهرة حتى عودتها ، وأعد تقريراً مختصراً عن خط سير الرحلة منذ مغادرتها مصر حتى وصولها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ووصف المسجد الحرام وصفاً مقتضباً ، كما ذكر موارد المياه على طول الطريق ، والطريف في الأمر هو الطريقة التي أعد بها تقريره ، فقد جعله تقريراً سرياً كتبه بطريقة الشفرة ، حيث جعله على

* بكالوريوس في التاريخ والحضارة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٥هـ .
- يحضر لدرجة الماجستير في تاريخ اليمن بالجامعة نفسها .
- يعمل معيداً بقسم الدراسات الاجتماعية في كلية المعلمين بالرياض .

هيئة مجموعة من الأرقام المبعثرة في مقدمة إحدى مخطوطات القرآن الكريم ، التي تحتفظ بها مكتبة الفاتيكان ، وقد استطاع المستشرق الإيطالي جورجي ليفي دلافيدا أن يفك رموز هذا التقرير، وأن يعيده إلى لغته الأصلية وهي البرتغالية، ويترجمه إلى اللغة الإنجليزية مع دراسة تحليلية جيدة .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي توردها هذه الوثيقة عن طريق الحاج المصري مقارنة بما أوردته المصادر الإسلامية المختلفة عن هذا الطريق، إلا أنها تشير إلى سمة من سمات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وهي ازدهار تجارة المعلومات أو التجسس ، فقد كان الصراع بين القوى الإسلامية والأوربية على أشده في منطقة البحر المتوسط بصفة خاصة والشرق الإسلامي بصفة عامة ، وكان الحصول على المعلومات مسألة حياة أو موت ؛ بل إن حركة الكشوف الجغرافية في حقيقة أمرها هي حركة لجمع المعلومات عن الطرق المؤدية إلى مواطن الثروة والرخاء الاقتصادي في الشرق الإسلامي، حيث كان الهاجس الاستخباري يسيطر على العقلية الأوربية في ذلك الوقت [1] .

كما أن الأهداف الدينية الصليبية كانت حاضرة في ذهن رواد الكشوف الجغرافية البرتغالية، فقد بدت ظاهرة من خلال عدد من الرحالة البرتغاليين الذين وصلوا إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لجمع أكبر قدر من المعلومات عنهما، ثم من خلال غزو مدينة جدة وحصارها، وهي المنفذ المعروف لمكة على العالم الخارجي ؛ كما ظهر البعد الصليبي كذلك في التعامل مع

---

(١) كولز ، بول : العثمانيون في أوروبا ، ترجمة ، الشيخ : عبدالرحمن عبدالله ، ص٩٠ ، ١١٢ ؛ الشيخ ، عبدالرحمن عبدالله ، لودوفيكو فارتيما "الحاج يونس المصري" مجلة جامعة الملك سعود ، م ٤ ، الآداب (٢) ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧ [الترجمة العربية] .

المسلمين وأماكن عبادتهم في الأماكن التي خضعت للاستعمار البرتغالي[1].

هذا ؛ وقد اعتنت المصادر الإسلامية، من كتب البلدان والتاريخ والرحلات بوصف طرق الحاج المختلفة المؤدية إلى الحجاز ، على أن طريق الحاج المصري لقي عناية أكثر من غيره من كتب رحلات الحج المغربية والأندلسية التي تمر به ، كما تناوله المستشرق لويس موزيل في القرن الماضي في بحثه "شمال الحجاز" ، إلا أن أفضل الدراسات لطرق الحج التي تمر بشمال الحجاز التي ظهرت حتى

(١) عن الرحالة البرتغاليين انظر : مجلة الوثيقة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، رمضان ١٤٠٢هـ ، ص١٠٨ - ١٥٥ ؛ الحمداني، طارق نافع . الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين ١٦ - ١٧ ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، ١٤٠٨هـ ، ج١ ، ص٢١٧ - ٢٣٤ ؛ أباظة ، فاروق عثمان . أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م ، ص ٤٩ - ٥١ ؛ ضرار ، محمد صالح . تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، الدار السودانية للكتاب ، ص ٥٠ - ٥١ . وعن محاولة الوصول إلى مكة والمدينة وعن تعاملهم مع المسلمين ، انظر : المعبري ، أحمد . تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، دار الوفاء ، بيروت ١٤٠٧هـ ؛ كاظم، بشير حمود . حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها . ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، ١٤٠٨هـ ، ج١، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ حنظل ، فالح . الأطماع البرتغالية في المقدسات الإسلامية ، ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية ، ١٤٠٨هـ ، ج١ ، ص ١٣١ - ١٤٤ ؛ جريس ، غيثان . جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، ضمن كتاب الصراع بين العرب والاستعمار الأوروبي الأول ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص ٢٢٧ - ٢٧١ .. أما عن المصادر البرتغالية فهناك خطوة طموحة بدأها الدكتور / عيسى أمين ، وهي ترجمة عدد من تلك المصادر إلى اللغة العربية تحت مسمى "الموسوعة البرتغالية" ظهر منها ثلاثة كتب هي :

١ - تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدروتيخسيرا .

٢ - تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي . مذكرات دوارتي بربروسا وجون هيوفان ليختون .

٣ - يوم سقطت هرمز . مذكرات القائد البحري دوي فيريرا اندرادي . صدرت عن دار الأيام ، المنامة، البحرين ، ١٩٩٦م [الترجمة العربية] .

الآن قام بها الدكتور علي إبراهيم غبّان - قسم الآثار - جامعة الملك سعود ، حيث تناول الآثار والمحطات على طريق الحاج الشامي والحاج المصري، وحدد المسافات بين تلك المنازل، وتتبع ذكرها في المصادر الإسلامية على مر العصور، ليسد بذلك ثغرة كبيرة في مجال الآثار الإسلامية على تلك الطرق (١) .

أما دراسة دلاّفيدا لهذه الوثيقة وتعليقاته عليها، فقد اتسمت بالتحليل الجيد، كما أن لغته الإنجليزية كانت سهلة لم يتكلف فيها، وقد ترجم من هوامشه وتعليقاته ما يهم قارئ العربية منها . كذلك تعليقات المترجم . وأشير إليها بـ [الترجمة العربية] .

حاج برتغالي إلى مكة في القرن [العاشر الهجري] السادس عشر الميلادي

بقلم : جورجي ليفي دلافيدا (٢) .

من المعروف أنه بعد إجلاء الرسول محمد [ﷺ] اليهود من مستوطناتهم في يثرب ، - التي سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة - ، لم يُسمح بالبقاء إلا

---

(١) غبّان ، علي بن إبراهيم . شمال غرب المملكة العربية السعودية " الكتاب الأول" بحوث في التاريخ والآثار ، "والكتاب الثاني" الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٤هـ ؛ نقشان من شبه جزيرة سيناء يؤرخان لعمارة السلطان قانصوة الغوري في طريق الحاج المصري والأماكن المقدسة بالحجاز ، مركز البحوث ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ١٤١١هـ ؛ كما شارك بدراسة قيمة للعمارة العثمانية على طريق الحاج المصري في شمال غرب الحجاز ، في مؤتمر " العمارة العثمانية" المنعقد في مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، بزغوان ، بتونس ، شهر جمادى الآخرة ١٤١٨هـ [الترجمة العربية] .

(٢) مستشرق إيطالي ولد في ٢٢ أغسطس ١٨٨٦م في إيطاليا من أسرة يهودية ، أنهى دراسته الثانوية في جنوة ، حيث كان والده يعمل هناك ، ثم انتقل دلافيدا إلى روما والتحق بجامعتها وحصل على ليسانس من كلية الآداب سنة ١٩٠٩م . قام برحلتين إلى الشرق الإسلامي ، وتعلم على يد عدد من المستشرقين مثل أجنتسيو جويدي وميكلنجلو جويدي وغيرهما، كما تعرف على المستشرق الإيطالي==

للمؤمنين [المسلمين] فقط في إقليم وسط الجزيرة العربية، ويدخل في ذلك المدينتان المقدستان مكة، والمدينة، وهذا التشريع الإسلامي لم يتوقف؛ بل نفّذ بحزم، وظل مستمراً حتى وقتنا الحاضر؛ ولذلك فقد ظلت مكة من الأماكن الغامضة. لذا؛ فالمعلومات الموثوقة عنها قليلة عند العالم النصراني، حتى القرن التاسع عشر، حيث استطاع رحالة مشهورون مثل بوركهارت وبرتون زيارتها(١).

إن المسلمين بطبيعة الحال لديهم المعرفة المباشرة عن هذه المدينة (مكة)، وأماكنها المقدسة، وذلك من خلال تأدية شعائر الحج لمن استطاع منهم. كما أن

== كرلو ألفونسو نلينو أثناء رحلته إلى مصر، وقام بتدريس اللغة العربية في المعهد الشرقي في نابلي في عامي ١٩١٤ - ١٩١٦م، ثم انتقل إلى جامعة تورنتو مدرساً للغة العبرية واللغات السامية. وفي عام ١٩٢٠م، انتقل إلى جامعة روما أستاذاً للغات السامية واستمر حتى سنة ١٩٣١م. حيث أعفي من منصبه في عهد حكومة موسليني، لذلك عمل في مكتبة الفاتيكان بين عام ١٩٣٢ - ١٩٣٩م، حيث قام بفهرسة للمخطوطات العربية والإسلامية الموجودة بها وأصدرها في ثلاثة مجلدات، ولما صدرت في إيطاليا القوانين المميزة ضد اليهود سنة ١٩٣٩م، غادر دلافيدا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستطاع الحصول على دعوة من جامعة بنسلفينيا في الولايات المتحدة، وعمل مدرساً فيها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، حيث عاد بعدها إلى عمله السابق بجامعة روما حتى تقاعده ١٩٦١م، وكانت وفاته في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٧م. أما إنتاجه العلمي فهو غزير في الدراسات العربية والإسلامية واللغات السامية والآثار، ولا يتسع المقام لعرضها وللاستزادة عن سيرة حياته وأعماله؛ انظر: العقيقي، نجيب. المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤ ج١، ص٤٤٠ - ٤٤١؛ بدوي، عبدالرحمن. موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٦٣ - ١٦٧؛ الجاسر، حمد. رحلات للبحث عن التراث، دار اليمامة، الرياض، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ [الترجمة العربية].

(١) يمكن الرجوع إلى الأعمال المشهورة لكل من G. D. Hogarth (هوجرث)، "التوغل في الجزيرة العربية" نيو يورك ١٩٠٤م؛ R. H. Kiernan (كرنين)، "إماطة اللثام عن الجزيرة العربية"، لندن ١٩٣٧م؛ A. Ralli رالي، "النصارى في مكة"، لندن ١٩٠٩م؛ أما لمعرفة أسماء زائري==

بإمكانهم إشباع رغباتهم عن كل هذه الأشياء بقراءة واحد من الكتب الكثيرة التي تناولتها بالوصف الدقيق سواء باللغة العربية أو بأية لغة أخرى يستعملها المسلمون [1]، وهذه الكتب لم تكن معروفة عند الأوربيين خلال العصور الوسطى، حيث انتشرت على نحو واسع أساطير مضحكة حول عاصمة الدين الإسلامي في العالم النصراني ، ولعل ذلك يصدق على ما قيل عن قبر محمد

== مكة الأوائل؛ فإنه مما يؤسف له أن أحداً من هؤلاء المؤلفين لم يخصص حيزاً للرحالة الأوائل، وربما يعود السبب في ذلك أنه حل محل تقاريرهم الكثير من المعلومات الشاملة في القرن التاسع عشر، ففي كتاب R. F. Burton (بيرتون) ، الرائع ، "قصتي الذاتية عن الحج إلى المدينة ومكة" ، (الملحقان الرابع والخامس)، وقد رجع إلى فارتيما، وجوزيف بيتز ، والعالم الهنغاري جوليس جرمانوس ، الذي اعتنق الإسلام في الهند وأدى فريضة الحج ، وأشار باختصار إلى فارتيما وبيتز ، وأيلد في كتابه "الله أكبر" (Im Banne de Islam) برلين صفحة ١٣٧، وبالرغم من أن الطبعة الألمانية (المترجمة عن الهنغارية) ظهرت بدون تاريخ للطباعة ، إلا أنه من المعروف أن جرمانوس كان في مكة شهر مارس ١٩٣٥م ، في موسم الحج سنة ١٣٥٣هـ ؛ انظر (orient emodrn . 15. 1935. 202) .

(١) طلاب اللغة العربية لهم معرفة بمجموعة من المؤلفين العرب من القرن التاسع إلى القرن السادس عشر، قام على جمعها وتلخيصها في ألمانيا "F. Wuestenfold (وستنفلد) تحت عنوان "Die chronkon der stadt Makka" ليبزج ١٨٥٧ - ١٨٦١م ، أما التاريخ الشامل لمكة فهو في عمل "كرستيان سنوك هورغرنية" الرائع عن "مكة" ، و"الحج" ١٨٨٨م المجلد الأول ، ومن أحدث ما كتب عنها وأكثرها دقة في الوصف لمكة والمدينة وشعائر الحج في الوقت الحاضر (١٩٤٢م) قام به "Eldon Rutter" (ايلدون ريتر) "المدينتان المقدستان في الجزيرة العربية" ، لندن ١٩٢٨م ، (طبع المجلد الأول سنة ١٩٣٠م) . كذلك الوصف التاريخي لشعائر الحج للعالم وذي الثقافة الواسعة "Gaudefroy - Demombynes" (جودفروا - ديمومبين) ، بعنوان : "lepelerinage ala Macque, par 1923" في (Annales, du Musee Guimet, Bibliothe, que tuies vol. 33) ؛ ولمن أراد الاستزادة حول الموضوع ، فسوف يجد في المجلدين الثاني والرابع من القائمة السابقة بغيته .

[ﷺ] ، حيث كان يُعتقد أنه في مكة (بينما هو في واقع الأمر في المدينة) ، وأنه عبارة عن نعش في الفضاء [1] ، يحتفظ بتوازنه الكامل هناك بتأثير من جاذبين خفيين [2] .

إن أول شاهد عيان يسجل معلومات عن أراضٍ غير معروفة في الجزيرة العربية ، وأحضرها إلى أوربا في أوائل القرن السادس عشر عن طريق مغامر إيطالي هو لودوفيكو فارتيما [3] ؛ الذي كان يعمل جندياً في جيش السلطان المملوكي في مصر والشام ، وقد ركب من دمشق إلى مكة مع جماعة من الخيالة المكلفين بحماية قافلة الحج ، ودخل مكة في مايو ١٥٠٤م [4] .

---

(١) هذه من الحكايات الأسطورية المنتشرة في الأدب اللاتيني في العصور الوسطى التي قيلت حول الرسول ﷺ وعن الإسلام بصفة عامة ، انظر : سذرن ، ر . و . نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة علي خشيم وصلاح الدين حسن، طرابلس، ليبيا، ص٤٥ - ٤٨ . [الترجمة العربية].

(٢) حول هذا الموضوع انظر القائمة الشاملة التي جمعها "S. c. chew" في كتابه العلمي المثير "The crescent and the Rose" New York 1937. P. 387. note 1. I Knew by title only P. Giudici, La vita di Maometto secondo le leggendee gli scrittori arabi, Florence 1912.

(٣) الترجمة الإنجليزية لرحلة فارتيما نشرت ضمن سلسلة " Hakluyt" (مجلد ٣٢ سنة ١٨٦٣م) والترجمة الأخرى قام بها "J. W. Jons" (لندن ١٩٢٩م) ، مع مقدمة كتبها "R. Temple" ، والطبعة الأخيرة باللغة الإيطالية للنص الأصلي قام بها "P. Giuddice" ، (ميلانو ١٩٢٨م) ، مع مقدمة جيدة .

(٤) اختار فارتيما نفسه سنة ١٥٠٣م ، وهذا التاريخ قبل به - وبدون مناقشة - كل هؤلاء الذين كتبوا عن تاريخ الاكتشاف الأوربي للجزيرة العربية ، ولكن من المحتمل ألا يكون صحيحاً، ذلك أن فارتيما قال إنه دخل مكة في ١٨ مايو، والقيام بشعائر الحج بدأ في ٢٣ من الشهر نفسه، وهذا نص فارتيما ، ("axxiii de Maio comincio ditto perdono in nel prefeto tempio p. 116 == of Gdiudici,s editio").

وكتب وصفاً للمدينة وشعائر الحج، ضمن كتاب يروي فيه رحلاته إلى مسافات بعيدة في بلدان أخرى مثل جنوب الجزيرة العربية ، وفارس، والهند .

وعلى الرغم من أن فارتيما لم يكن معروفاً من قبل ، لكنه كان كاتباً محترفاً بقي أسلوبه لامعاً ، ووصفه حياً ، ومع أنه كان مراقباً خارجياً ، وذا ثقافة ضحلة ، ومفتقراً إلى سعة الاطلاع : فهو يستحق ثناءنا لإبطاله الأسطورة القائلة بفضائية قبر محمد [ﷺ] ؛ ولإعطائه تقريراً حقيقياً ، ودقيقاً عن الصفات الرئيسة لأعظم موضع مقدس في الإسلام (١) .

بعد فارتيما وقبل أن نصل إلى بداية القرن التالي تقابلنا اعترافات شهود نصارى زاروا مكة ، فهناك رجلان آخران يعزى إليهما القيام برحلة كانت محفوفة بالمخاطر إلى تلك المدينة إبان القرن السادس عشر ، ولكن حقيقة مغامرتهما مازالت موضع شك .

أحدهما جورج كوادرا ، أو (جورجي دي كوادرا) كان قبطاناً لمركب شراعي في الأسطول البرتغالي تحت إمرة (دارتي دي ليموز) ، وهو برتبة ملازم رافق فاتح الهند الشهير ألفونسو (دي البوكيرك) ؛ ألقت به عاصفة على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية وذلك سنة ١٥٠٩م، حيث وقع أسيراً في يد سلطان عدن، وبعد سجن طويل أنقذه سلطان آخر (ربما يكون السلطان المملوكي في

== وعندما تعرف أن شعائر الحج تبدأ سنوياً بعد ظهر يوم السابع من شهر ذي الحجة الذي يوافق ٢٣ مايو ١٥٠٤م (٩٠٩هـ) مايو سنة ١٥٠٣م يوافق ٢٦ ذي الحجة سنة ٩٠٨هـ ، وهذا يعني أنه بقي على بداية الحج أحد عشر يوماً . ولذلك ؛ فإن فارتيما كان في مكة سنة ١٥٠٤م .

(١) ترجمت رحلة فارتيما إلى اللغة العربية ، وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م، وقام بالترجمة الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، [الترجمة العربية] .

مصر)، الذي استولى على عدن، وأطلق سراح ذلك السجين ليأخذه تحت وصايته . وفي سنة ١٥٢٠م، بعد أن ظن الجميع أن كوادرا قد مات أو فقد، إذا به يظهر فجأة في هرمز على الخليج العربي وقد كانت تحت الاحتلال البرتغالي ، واعترت الدهشة أبناء بلده بعد أن أعلن أنه أجبر على اعتناق الإسلام، واشترك في الحج إلى مكة ، ثم عبر شبه الجزيرة العربية بأكملها مشاركاً القبائل البدوية حياتها الصعبة في الصحراء ، وفي نهاية المطاف استطاع بكل نجاح الهرب من مراقبة مستضيفه من العرب ، ووصل إلى المستعمرة البرتغالية ، وقد أصبح كوادرا راهباً فرنسيسكياً تكفيراً عن ردته [١] .

ونحن ليست لدينا الدلائل للحكم على قصة كوادرا بعدم صحتها ، فإذا كانت قد حدثت حقيقة فيعدّ هو النصراني الثاني الذي يزور مكة [٢] ، ومما

(١) See Hieronymus Osorious (Jeronimo osorio), De rebus 6 Emmanuelis Regis Lusitaniae books V and X11 (p. 190 and 446 - 48 in the edition lisbon, 1571), on whom wadding, Annales Fratrum Minorum, 16,96-97 is entirely dependent , commentarios do grande afonso Dalbu querque capitan genral que foy das Indias orientaes ... novamente emendados e acrescentados pelo mesmo auctor (i.e., Albuquerues son), lisbon, 1576, p. 479- 80 (the first edition appeared in 1557). Comp. Also A. Kammerer, la Mer Rouge, p abyssinie et LArabie depuis Lantiquite, Cariro, 1935 , 2, 199, and c. Beccari , Rerum Aethiopicarum Scriptores Oceidentales, 9, 353- 54 .

(٢) عن قصة كوادرا ؛ انظر : بدول ، روبن . الرحالة الغربيون في جزيرة العرب ، ترجمة عبدالله آدم نصيف، ص١٠٦ ؛ حيث يذكر بدول أن حادث تحطم سفينة كوادرا كان سنة ١٥٠٠م ، وأنه سجن في مدينة زبيد ، وتعلم اللغة العربية ثم ذهب إلى مكة ومنها إلى البصرة . [الترجمة العربية] .

يجدر ذكره في هذه المناسبة تباشير عبور فلبي الجزيرة العربية من الساحل إلى الساحل [١] .

إن قصة فنسنت لي بلانك ، وهو فرنسي يحمل اسمه رواية من أعظم المغامرات الرومانتيكية التي نشرت عام ١٥٧٠م ، وقد ملئت بالمتناقضات ، والأفكار السخيفة ، التي لا يوثق بها تماماً [٢]، وسواء كان لي بلانك في مكة كما يدعى أم لا ؛ فإنه لم يستطع أن يزودنا بأية معلومات عن المدينة المقدسة ؛ بل اعتمد على ما جاء به فارتيما ؛ لذلك خلت هذه الرواية من أية قيمة [٣] .

أما في القرن السابع عشر فلم يستطع أحد من النصارى الذين زاروا مكة - باستثناء واحد فقط سوف نذكره فيما بعد - أن يزودنا بأية معلومات ذات قيمة سواء أكانت جغرافية أو اجتماعية أو تاريخية .

وفي القرن السادس عشر زار مكة نصراني لم يكن يُعرف عنه شيء من قبل ، بل برز فجأة من عدم شهرته . أما الغريب في الأمر فهو في الطريقة التي قدم بها تقريره عن خبراته ، وكذلك الطريقة التي اكتشفت بها كانت غير

(١) يشير دلافيدا إلى تصادف الحديث عن عبور كوادرا من مكة المكرمة إلى هرمز مع رحلات فلبي التي عبر بها الجزيرة العربية عند كتابة هذا البحث . عن هذه الرحلات انظر : بدول ، المرجع السابق ، ص٩٦ - ١٠٠ ؛ مجلة الفيصل عدد ٤٨ ، ص ٨٣ - ٩٠ . [الترجمة العربية] .

(٢) Les voyages fameux du sieur vincent Le Blanc Marseillais quil a faits depuis l'age de douze ans jusqu' a soixante ans aux quatres parties du monde ... publies par Coulon Paris, 1649 (another edition appeared at Toryes in 1658) .

(٣) يذكر روبن بدول ، المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٧ أن كتاب لي بلانك مدعم بالوثائق التاريخية التي تجعلنا نثق في معلوماته . [الترجمة العربية] .

عادية فهي تذكرنا بالقصص البوليسية (Mystery Story) مع اختلاف بسيط، حيث لم تُكتشف كل أسرار هذه القصة كما يحدث عادة في تلك الروايات .

فبينما كنت مشغولاً في إعداد فهارس للمخطوطات العربية في مكتبة الفاتيكان ، عثرت على مجلد رقيق (١) ، يحوي أجزاء بسيطة من القرآن (السور ٢١ : ٢٥ إلى ٢٦ : ١٠٩) وبالتحديد يضم الحزب السابع والثلاثين من الأحزاب الستين (٢) ، وهي تعود إلى نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي أو بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وكان مجلداً بكرتون بسيط جداً ، وبجلد على الظهر والحواف ، وربما يكون هذا التجليد من العقود الحديثة (٣) .

أما الصفحات الخالية في صدر المخطوطة (وهما الورقتان ١ ، ٢ من الترقيم الحديث) ملئت بسلسلة من الأعداد الأوربية نظمت في مجموعات بأحجام متفاوتة، كل واحد منها منفصل عن الآخر بنقطة ، وكانت هذه رموز للكتابة بدت واضحة تماماً، ولما كان الترقيم مكتوباً بيد أوربية، فقد جاء ذلك واضحاً أيضاً لدرجة أنه بدا وكأنه من عمل غربي (المالك للمصحف العربي) .

(١) G. Levi Della vidda, Elenco dei manoscritti arabi islamic della Biblioteca Apostolica Vaticana, Vatican City 1935, p. 3 (studi e Testi, 67). The entry is : "vaticanus Arabicus 217" .

(٢) كما هو معروف أن القرآن مقسم - لغاية دينية - إلى ثلاثين قسماً ، ونسخة المخطوطة غالباً مرتبة إلى ثلاثين (جزءاً) أو ستين (حزباً) ، ثم في مجلدات رفيعة لتكون في متناول اليد أكثر من المجلد السميك .

(٣) الأوراق التي في بداية المخطوطة وفي نهايتها من الورق الأوربي ، وهي السمة التي لا تظهر في المخطوطات الشرقية قبل منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

إن فك هذه الشفرة يوضح تفاهة المهمة ؛ لأن الرموز كانت سهلة حتى على الطفل، فالعدد 1 يقابله الحرف A ، والعدد 2 يقابل الحرف B ... إلى آخره ، مع تبديلين للعلامات ، واختيار اعتباطي، فبدلاً من الحرف A بجانب العدد 1، وواحد آخر عند الحرف E بجانب العدد 5 .

إن لغة النص قد اختفت على هذا النحو الساذج تحت طيات الخط المكتوب بهذه الشفرة . قد ثبت يقيناً أنها اللغة البرتغالية فهجاؤها ومفرداتها أصبحت مهجورة ، والنص نفسه جاء قصيراً ، ولكنه في الواقع يروي رحلة من القاهرة إلى مكة والمدينة ، ثم يعود مرة أخرى . وكانت هذه الرحلة لرحالة مجهول بين مايو وسبتمبر عام ١٥٦٥م [١] .

وفيما يلي نسخة وافية عن هذه الوثيقة الفريدة مع ترجمة إنجليزية لها ، على أن الوضع غير المألوف للفقرات أهمل لصعوبة استنساخه عند الطبع .

"غادرنا القاهرة في التاسع من مايو عام ١٥٦٥م وذهبنا إلى البركة [٢] . التي تبعد ثلاثة فراسخ عن القاهرة ، حيث مكثنا فيها إلى الثامن والعشرين من الشهر نفسه ، وفي ذلك اليوم غادرنا باتجاه عجروت [٣] ، وهي قلعة ومورد

(١) يوافق شهر شوال سنة ٩٧٢هـ إلى ربيع الأول من السنة التالية ، انظر : محمد مختار باشا ، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية تحقيق محمد عمارة ، ج٢ ، ص ١٠٠٨ - ١٠٠٩ . [الترجمة العربية] .

(٢) البركة : شرق القاهرة ، حيث يتجمع الحجاج قبل بداية سيرهم المعتاد نحو ما يعرف بـ "طريق الحاج المصري" ، ولقد وصف هذا الطريق بدقة في العديد من الأعمال سواء لمؤلفين عرباً أو أوربيين - رحالة وجغرافيين - هذا الطريق تعطل مع بداية القرن التاسع عشر عندما أصبح الطريق البحري الوسيلة المعتادة للسفر ، حيث يبحر الحجاج الآن من السويس إلى جدة - ميناء مكة - ومنها إلى المدينة المقدسة بواسطة الجمال ، أو ناقلات الخدمة حتى السنوات القليلة الماضية .

(٣) الصحيح عجرود .

مائي وتبعد فرسخين عن السويس، حيث وصلناها في صباح الثلاثين من مايو . وفي اليوم الأخير من هذا الشهر غادرنا إلى ناحل (١)، وهي قلعة ومورد مائي، حيث وصلناها في الثاني من يونيو ، ثم إلى قلعة ومورد مائي آخر يعرف بالعقبة (٢) وتقع على شاطئ البحر الأحمر، حيث وصلناها في اليوم الخامس . وفي اليوم السابع انطلقنا تجاه مغارة شعيب(٣)، وهي أيضاً قلعة ومورد مائي وصلناها في اليوم التاسع . وفي اليوم نفسه ذهبنا إلى عيون القصب (٤) ، التي وصلناها في آخر الليل من ذلك اليوم، وفي اليوم العاشر ذهبنا إلى قلعة مويلح أو البئرين (٥) ، يث وصلناها في اليوم الحادي عشر .

في اليوم الثالث عشر قصدنا قلعة أزلم (٦) ، التي وصلناها في اليوم الخامس عشر ثم إلى ينبع(٧) في اليوم نفسه ؛ وهي أول موقع من منطقة شريف مكة (٨) ، حيث وصلناها في الثاني والعشرين من الشهر نفسه . وفي السادس

---

(١) الصحيح النخل .

(٢) العقبة الميناء المعروف مكان أيلة القديمة عند المؤلفين القدامى ، وقرب "Exio Geber" (مدينة سليمان) .

(٣) مغارات أو (مغاير) شعيب ، "كهف أو كهوف شعيب" ، الروايات الإسلامية حددت قبر مدين "Midianite priest Jethro," أبي زوجة موسى ، والمسمى شعيباً في القرآن .

(٤) عيون القصب ، وقد أخطأ المؤلف في قراءة مخطوطته فقال "iumil" بدلا من "utunil" .

(٥) مويلح ، أو البئرين في اللفظ الحديث .

(٦)أزلم ميناء صغير على البحر الأحمر .

(٧) ينبع ميناء المدينة المعروف .

(٨) من المعروف أن منطقة الحجاز بكاملها - وعلى الرغم من أنها تحت حكم السلاطين العثمانيين اسمياً إلا أنها في الواقع تحت سلطة أسرة بني قتادة الذين ينحدرون من ابنة محمد [ﷺ] فاطمة ، والخليفة علي [رضي الله عنه] ؛ ولذلك حملوا لقب شريف .

والعشرين اتجهنا إلى بدر [1] التي وصلناها في الثامن والعشرين ، ويوجد بها أمير الطبلخانة [2] .

وفي اليوم نفسه غادرنا إلى رابغ [3] ، فوصلناها في اليوم الأخير من ذلك الشهر ، حيث تجرد الناس [الحجاج] من ملابسهم [4] ، وذهبوا إلى مكة بملابس الإحرام ، وفي آخر ذلك اليوم غادرنا إلى بدر حنين [5] التي وصلناها في الأول من يوليو ، وفي اليوم الثاني انطلقنا إلى مكة ، حيث وصلناها في اليوم الثالث ؛ وفي الثالث والعشرين من يوليو غادرنا مكة إلى المدينة النبوية، حيث وصلناها في الأول من أغسطس [6] ، وفي الرابع منه غادرناها باتجاه القاهرة ، حيث وصلنا إلى البركة في الرابع من سبتمبر .

---

(١) بدر موقع أول معركة قاتل فيها محمد [ﷺ] كفار مكة في السنة الثانية للهجرة (٦٢٣م) .

(٢) أمير الطبلخانة (وقد رمز لها المؤلف بالأرقام التالية " ٩، ١٠، ١٢، ١٩، ١٦، . عوضاً عن ٩ ، ١٠، ١١، ٩ ، ١٦" وهي تعني موظف الحكومة العثمانية الذي يتولى أمر قافلة الحج حتى يقترب من مكة ، وعادة ما يستمر في تقدمه إلى حدود الحرم ، وهي المنطقة المقدسة المحيطة بمكة ، وكلمة طبلخانة وتجمع طبلخانات وتعني حرفياً "بيت الطبل" ، إذن فهي حرفة موسيقية (انظر دائرة معارف الإسلام ، ص ٢١٧ - ٢٢٢)، في نظام الدولة المملوكية وأخذه العثمانيون بعدهم ، فالأمراء يرتقون إلى أعلى رتب الجيش وعندما يقومون بمهمة ما ، فإن الفرقة الموسيقية تتقدمهم .

(٣) رابغ على البحر الأحمر .

(٤) ما يقوله هنا مؤلفنا أن جميع الحجاج متجردون من ملابسهم مبالغة في الإهانة والاستخفاف ، فالحجاج يشرعون في الإحرام متجردين من ملابسهم المعتادة ، ويتخذون ما يعرف بالإحرام وهو زي يتكون من قطعتين من القماش الأبيض أحدهما يلف حول عوراتهم ، والآخر يلف حول عواتقهم .

(٥) "بدر حنين" حيث وقعت معركة أخرى بين محمد [ﷺ] والمكيين، وذلك في السنة الثامنة للهجرة .

(٦) من ٣ - ٢٣ يوليو لعام ١٥٦٥م يوافق من الرابع إلى الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة لعام ٩٧٢هـ ؛ وفي هذه الحالة فقد بدأت شعائر الحج في السابع من ذي الحجة، وانتهت في آخر الثالث ==

من البركة إلى قلعة عجروت لا يوجد مورد مائي [1] ، ومن عجروت إلى قلعة ناحل لا يوجد مورد مائي ، ومن ناحل إلى قلعة العقبة لا يوجد بها مورد مائي ؛ من العقبة إلى مويلح أو البئرين [2] يوجد موردان مائيان في مغارة الذئب وعيون القصب ؛ من مويلح إلى أزلم لا يوجد موارد مائية ، ومن أزلم إلى ينبع يوجد أربعة موارد مائية . ومن ينبع إلى بدر لا يوجد موارد مائية ؛ من بدر إلى مكة يوجد مورد مائي دائم عند الذهاب من مكان إلى آخر؛ من بدر

== عشر من الشهر نفسه ؛ لذلك فإن رحالتنا - بدون شك - قد قام بأداء شعائر الحج في الوقت المحدد كغيره من الحجاج بعد أن قضى بعض الأيام في مكة (حيث أخذ قسطاً من الراحة بعد تأديته الواجبات الدينية) ، ثم ذهب إلى المدينة لزيارة قبر الرسول [ﷺ] ، ثم غادر إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام ، وبالرغم من أنه لم يشر إلى طريق عودته ، ولكن لابد وأنه سلك الطريق نفسه الذي يسلكه الحجاج عادة عند عودتهم من المدينة غرباً إلى ينبع، ومنه إلى القاهرة على الطريق الذي سبق أن سلكوه أثناء ذهابهم إلى الحج .

(١) هذه الفقرة يبدو أنها كتبت كإرشادات للرحالة في المستقبل، علاوة على الأماكن التي أشار إليها من قبل ، ولقد اجتهد المؤلف في ذكر المواقع التي مر بهاأثناء رحلته غير موارد المياه ، مثل :

Igiu, Acsa, Elhora and Nabta. are in correct transliteration, el- Akra Cobviously, the figure 17= s in the code is a slip, and 16 = r was meant) , el- Haura, (el-Hora in modern pronunciation) and an - Nabt or an - Nabt (in Thevenote's itinerary, about which more will be said] el fortress further on, they are transliterated Kalaat [i , e. Qalat, voudge, Ekre, Hhawre, Nabta,) . Coles is Khulais (kholes in modern pronuciatio,) Batanamaru is Batn Marr (see Yaqut, I,667 and the older geographers), a place which later (already at Thevenots time) changed its name to wadi fatima.

(٢) تعني البئرين (انظر هامش ٥ ص١٣).

إلى رابغ ومنه إلى بدر حنين ، ومن بدر حنين [1] إلى خليص ، ثم إلى وادي فاطمة ومكة [2] .

مسجد مكة كبير جداً ومربع ، في كل جانب من جوانبه ثلاث ساحات للمصلين، وسقفه من الخشب وهو متآكل في الوقت الحاضر ، وأقواس الساحات

---

(١) بدر هو موقع المعركة المشهورة بين الرسول ﷺ والمشركين في السنة الثانية للهجرة ، وهو من منازل طريق الحاج المصري والشامي ومن يسلك طريقهما ؛ ويبدو أنه أضيف إليها حنين في المصادر المتأخرة، حيث يذكر الجزيري بدراً لوحدها في مواضع من كتابه ، ومرات أخرى يذكرها "بدر وحنين" وقد جعل الشيخ حمد الجاسر "حنيناً" موضعاً قرب بدر، انظر عن ذلك الحربي، أبو إسحاق (ت ٢٥٨هـ) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، ص٤١٨ - ٤٢٠ ؛ الجزيري ، عبدالقادر بن محمد (ت بعد ٩٧٦هـ) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ج٢ ، ص ٧٨٢ ، ١٢٥٢، ١٢٦٩، ١٢٩٥ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ج٣ ، ص١٦٦٥ ، ١٧١٩، ١٧٤٣، ٢١٧٣ ؛ وقد أخطأ دلافيدا في الهامش رقم ٣٥ من هذه الدراسة عند ما قال : إن "حنيناً" "المذكورة في هذا النص هي الموقع الذي حدثت فيه المعركة المعروفة في السنة الثامنة للهجرة ؛ ذلك أنها وقعت قرب الطائف بعد فتح مكة مباشرة ولا علاقة بين الموضعين إلا في المسمى فقط ؛ انظر : ابن هشام ، أبي محمد عبدالملك (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت ، م ٢ ، ج٤ ، ص ٦٠ - ٨٩ ، [الترجمة العربية] .

(٢) هذه المنازل مذكورة في الكثير من المصادر الإسلامية وتحدثت عنها بالتفصيل ، وقد تتبعها الباحث علي بن إبراهيم غبان في أبحاثه حول طرق الحج، وهناك مصدر آخر لم يتطرق له غبان وهو "رحلة الشتاء والصيف" لمحمد بن عبدالله الحسني الموسوي الشهير - بـ (كبريت) (١٠١٢ - ١٠٧٠هـ) تحقيق محمد سعيد الطنطاوي ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٣٥٨هـ ، وقد فصل في ذكر هذه المنازل وقدر المسافات بينها ، ص٦٦ - ٦٧ ؛ وهناك ذكر لهذا الطريق في كتب الرحالة المغاربة إلى الحجاز؛ انظر: مقدمة الشيخ حمد الجاسر لملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي ، دار الرفاعي، الرياض ، ص ١٨ - ٢٨ ؛ أبو القاسم سعد الله ، الرحلات الجزائرية إلى الحجاز ؛ عبدالكريم كريتم، بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية جامعة الملك سعود ، ج٢ ، ٣٣٥ - ٣٤٥ ، ٤٠٣ - ٤١٧ ، [الترجمة العربية] .

محملة على أعمدة بعضها من الرخام وبعضها الآخر من الحجارة ، وللمسجد تسع وتسعون بوابة وست مآذن ، وفي داخل المسجد يوجد مقام إبراهيم ، وهو مربع الشكل ، بطول عشر خطوات في كل جانب ، وفي أحد جدران هذا البيت يوجد الحجر الأسود بطول كف وبعرض نصف كف ، وقد أحيط هذا البيت بواحدٍ وثلاثين عموداً من المعدن مثبتة على قواعد صخرية على شبه مكعبات متغايرة الألوان بين الأحمر والأبيض" .

وعلى الرغم من هذا الإيجاز ؛ فإن هذا الوصف قد جاء دقيقاً جداً ، حيث سُجلت جميع المحطات وموارد المياه على الطريق عبر شبه جزيرة سيناء بكل دقة، وعلى طول ساحل البحر الأحمر ، والممرات الجبلية بين رابغ ومكة ؛ كما سُجلت تواريخ الوصول والمغادرة .

إن المعلومات التي أمدنا بها هذا الرحالة المجهول تتطابق مع المعلومات التي حصلنا عليها من مصادر أخرى حول الطريق القديم للحجاج المصريين ، فمعظم الطرق التي كان يستخدمها الكتاب العرب القدماء والرحالة الأوربيون يشيرون إلى ذلك الطريق ، وقد تناوله لويس موزيل بالبحث والتحقيق ، وأورد عنه معلومات في عمله القيم "شمال الحجاز" (الجمعية الجغرافية الأمريكية ، الاكتشافات والدراسات الشرقية : العدد الأول نيويورك ١٩٢٦م ، ص ٣٢١ - ٣٣٦) التي يمكن أن يُلحق بها خريطة من كتاب برنهارد مورتز "الجزيرة العربية" ص٥٨ ، هانوفر ١٩٢٣م . والعديد من الأعمال حول "الدليل إلى الحج" باللغة العربية ؛ ومن خلال اقتباسي للمعلومات من أحدها ، وهو "مشعل المحمل" لمحمد الصادق بك (طبع في القاهرة سنة

١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م ، ص٧ - ٢٣) [١] ، كما أن هناك قصة رحلة قصيرة قريبة الشبه من قصة الحاج البرتغالي كتبها جين ثيفونتو (١٦٣٣ - ١٦٦٧م) وأعيد طبعها في كتابه "رحلات" (باريس ١٦٨٩م، ص ٤٧٦ - ٤٧٩)، التي قال إنه حصل عليها من: "أمير تونس الذي قام بهذه الرحلة عند ما كنت في القاهرة".

حيث إن المحطات التي ذكرت هناك كانت مثل ما وردت تماماً في وثيقتنا مع قليل من الإضافة والحذف ، والمسافات التي أعطيت بالساعة متفقة تماماً مع مقولة الحاج لها [٢] .

---

(١) ذكر محمد صادق بك ، محطات الحاج المصري ، وأوقات النزول والارتحال بالساعة والدقيقة ، وكان يعمل أميناً لصرة الحج لعام ١٢٩٧هـ ؛ كما كان عاكف باشا أميراً للحج في ذلك العام، [الترجمة العربية].

(٢) Besides Thevenot, Musil p. 325 quotes thetravels of Gabrielle Bremond (viaggi, eidt. By G. Corra, pp. 163 f. ") This mysterious traveler is said by the author of the article in Biographie Universelle 5, 467 (on which depends Nouvelle Biographic generale, 7, 317) to have been a woman , which would be a rare and interesting fact indeed - if it were true. I am strongly suspicous however, that all biographic information in Biographie Universelle is drawn from no other source than the work itself, the complete title of which is viaggi fatti nell,Egito superiore, et inferiore nel monts sinay ... quello della Meka e del sepolcro di Moametto ... opera del signor Gabrielle Bremond Msrsigliese da lui scritta in Francese, e fatta tradurre in Italiano, data in luce da Giuseppe corvo [not corra, as Musil has] libraro, Roma 1679 (the first deition, which I have not succeeded in seeing, was published in 1673). In spite of the French surname Bremond, no other edition than the Itaian seems to have ever existed, and the given name Gabrielle represents ==

ولعل من أهم الأحداث التي أشار إليها تقرير حاجنا هي وصفه القصير والدقيق عن المسجد الحرام في مكة ، وللكعبة التي تقع في وسط الفناء العريض للمسجد ، أيضاً أكثر الأشياء التي تعد غير مهمة استعرضت بدقة ، وزودنا بما يضمن أن المؤلف قد قدم لنا وصفاً واقعياً لما رآه ؛ فعلى سبيل المثال عندما لاحظ تلك الألواح الخشبية في الرواق وأنها كانت في حالة من العطب . فنحن نعرف أنه بين السنوات ١٥٧٢ - ١٥٧٧م (٩٧٩ - ٩٨٤هـ) أي بعد سنوات قليلة من ملاحظة ذلك الحاج البرتغالي - قام السلطانان العثمانيان

==

an obsolete Itaian spelling of the mans name Gabriele (Gabriel) , not Travels in Upper the French Feminine name Gabrielle. Finally, the are but , a plagiarism of Thevenot,s book , the first edi- Egypt, etc. tion of which appeared in 1664 . My conclusion (which ought to be corroborated by a thorough, inquiry , which I had no leisure to make) is that Gabriel Bremond never existed, or, if he did, his only travels were done acrossthe pages of thevenot, [Leter. - I have recently come across a passage which proves that Gabriel Bremond actually existed. Ludovico Marracci, the author of the prodromus ad Refutationem Al-corani, (padua 1698) , writes (Vita et res gestae a Mahumeto, p. 29 b The reader will not be dispeased if I report here what was written) : about this temple (i, e. The kaba) and Mohammed,s tomb by Gabriel (fol - lows a long Bremond of Marseille, an intimate friend of mine ... quotation from Bremonds book) I wonder if our pseudo - traveler should not be identified with an adventurer and novlist of the same name , who ended his life in Holland,] .

التركيان سليم الثاني ومراد الثالث [1] بإزالة تلك الألواح ، واستبدالها بمجموعة من القباب المقنطرة المبنية من الحجارة [2] ، وملاحظته عن تعدد المواد المستخدمة في الأعمدة هي نفسها المستخدمة في الرواق والشرفة . كما أن ملاحظته صحيحة ، فمن ٥٤٥ عموداً كان يوجد ٣٠١ عمود من الرخام و ٢٢٤ من الحجارة الحمراء [3] ، أما المنارات التي عدها المؤلف ستاً هي الآن سبع ولكن واحدة منها حديثة في بنائها [4] . أما العرض الذي أسقط فيه المؤلف كثيراً من الحقائق الواقعية هو في عدد البوابات في الأروقة ، فهي في الواقع خمس وعشرون بوابة وليست تسعاً وتسعين كما ذكر .

وفي حقيقة الأمر؛ فإنه يوجد عدد من المداخل. ذلك أن جميع البوابات تقريباً مزدوجة، ولكنها على أي حال لا تصل إلى أربع وأربعين بوابة[5]، ومما يدعو للاستغراب أن فارتيما وقع في الخطأ نفسه ، وأكد أن البوابات كانت "تسعين أو

---

(١) عن عمارة المسجد الحرام في تلك الفترة من العهد العثماني ؛ انظر : كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص٣٨٤ - ٣٩١ ، للمؤرخ المكي محمد بن أحمد النهرواني (ت ٩٩٠هـ ، تحقيق هشام عبدالعزيز عطا ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ١٤١٦هـ) ، [الترجمة العربية] .

(٢) see snouck Hurgroje, Mekka, 1, 16 and comprae Rutter, The Holy ities of Arabia, 1, 241.

(٣) see, among others, Ibrahim Rif, it pasha, Mir'at al haramain Cairo 1344 / 1925, 1, 228, Rutter 1, 227 - 29 .

(٤) Rifat pasha , 1 , 235 snouck Hurgronje,I,13. Comp gaudefroy-Demombynes, p. 131.

(٥) Rifat pasha 1 229-34, Rutter, 1 , 225 (P. 253 the total number is given as twenty four, which is hardly correct) .

مائة بوابة" [1]، وهناك واصف آخر لمكة معاصر للبرتغاليين - سوف نأتي على ذكره لاحقاً - أعطى العدد نفسه وهو تسع وتسعون ، ولابد أن أعترف بعجزي عن تقديم تعليل عن مثل هذه المعلومات الخاطئة في ثلاثة مصادر مستقلة .

لا شك أن "بيت إبراهيم" هو الكعبة، فقد كانت موضع العبادة عند الوثنيين القدماء وتأصل بعمق في قلوب القاطنين في مكة ؛ ولذلك فإن محمداً [ﷺ] لم يجرؤ على إزالتها بشكل تام؛ بل إن بعض صفاتها، وسماتها ضمنها دينه الجديد مدعياً أن تلك الكعبة بناها إبراهيم، وأضفى عليها قداسة العبادة للرب الحقيقي[2].

(١) ذكر المستشرق بيرسي بادجر في تعليقه على رحلة فارتيما عن هذه المعلومة قائلاً : إن "جوزيف بيتس Pitts الذي زار مكة سنة ١٦٠٨م وصف المسجد الحرام بأن له حوالي اثنين وأربعين باباً للدخول إليه، أما علي بك العباسي [زار مكة في ٢٣ يناير ١٨٠٧م] فذكر أن للمسجد تسعة عشر باباً لها ثمانية وثلاثون عقداً مقوساً ، أما بوركهارت «١٨١٤م» فذكر أن بوابات المسجد ١٩ في العدد ، وأنها موزعة على جهات المسجد بدون تناسق وكل باب يتكون من عقدين أو ثلاثة ، يفصل بينهما حائط ، وبذا يمكن أن نقول إن المداخل المؤدية للمسجد ٣٩" ، رحلات فارتيما، ترجمة ، عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، ص٥٣ ، حاشية رقم ٥٠ ، [الترجمة العربية] .

(٢) وقع دلافيدا هنا في مغالطة واضحة فالرسول ﷺ أزال كل مظاهر الوثنية عند دخوله مكة المكرمة مبتدئاً بأكبر مظاهرها وهي الأصنام ، وأعاد صياغة ذلك المجتمع وفق منهج جديد وحياة إسلامية تختلف عن واقعهم . أما الزعم بأن شعائر الحج من الوثنية العربية القديمة ، فهذه فرية ترسخت في العقلية الاستشراقية على مر العصور ، تهدف إلى التشكيك في مصدرية الإسلام بوجه عام ، فهو في نظرهم إما مأخوذ من التعاليم اليهودية والنصرانية ، أو من الوثنية العربية القديمة وهذا ما تجده عند السواد الأعظم من المستشرقين ؛ انظر : فتاح ، عرفان عبدالحميد . دراسات في الفكر العربي الإسلامي (أبحاث في علم الكلام والتصوف والاستشراق والحركات الهدامة) دار عمار ، عمان ١٤١٢هـ ، ص ١٠٧ - ١٥٥ ؛ زقزوق ، محمود حمدي . الإسلام في مرآة الفكر الغربي ، دار الفكر، القاهرة، ط٤، ١٤١٤هـ ، ص ٧٢ - ٩٥ ؛ وعن الحرمين الشريفين في نظر المستشرقين ؛ انظر: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام ، لمحمود زقزوق أيضاً ، ص ١٩٥ - ٢٠٤ ؛ نجا ، فاطمة هدى . نور الإسلام وأباطيل الاستشراق ، دار الإيمان ، طرابلس ، لبنان ، ١٤١٣هـ ، ص٧٩- ١٢٥ . [الترجمة العربية] .

إن الكتلة المستطيلة من البناء هي - في الواقع - أربعون قدماً في الطول وثلاثة وثلاثون قدماً في العرض . كما أن تقدير الحاج بأنها عشر خطوات صحيح من الناحية العملية ، مثل تقديره عن الحجر الأسود وهو حجر من النيزك موضوع في الحائط الشرقي من الكعبة، حيث يلقى إجلالاً عميقاً من المسلمين . أما فيما يتعلق بروايته عن عدد الأعمدة المعدنية البالغ عددها واحداً وثلاثين عاموداً من المعدن تحيط بالكعبة ، فهذا العدد لم يعد صحيحاً في الوقت الحاضر ، ولكنها في الماضي كانت واحداً وثلاثين قائماً معدنياً (١) ، وهي التي سماها مؤلفنا - خطأ - عموداً .

إن صحة هذه الوثيقة الفريدة في مخطوطة الفاتيكان تعلو كل الشكوك من التزوير ؛ لأن مؤلفها لابد وأنه في الواقع سافر سالكاً ذلك الطريق الذي وصفه وشاهد الحج في موسمه عند المسلمين سنة ٩٧٢هـ، وبالرغم من الاختصار الشديد ؛ فإن ما دوّنه يعد أحد أوثق ما كتب قبل القرن التاسع عشر عن المسجد الحرام بمكة والطريق إليها . وزيادة على ذلك ؛ فإنه أقدم هؤلاء جميعاً فيما يتعلق ببيان الطريق .

لقد كان وصف فارتيما مليئاً بتفاصيل يومية وشخصية كما أنه اتسم بأسلوبه الساخر . ولكن عباراته أيضاً جاءت غامضة أو غير دقيقة في معظم الأحيان ، وقد كان ذلك المغامر الإيطالي قليل بل عديم الاهتمام بالجغرافيا ، ولذلك فشل في بيان المحطات التي قابلها على طريقه بعناية ، وإن كانت - بالمناسبة - تختلف تماماً عن الطريق الذي سلكه الحاج البرتغالي ؛ ذلك أن فارتيما قدم من دمشق سالكاً الطريق المعروف بطريق الحاج الشامي .

(١) see Below, note 44

إذن من يكون هذا الحاج ؟ .كيف وهو الأوربي الغربي والنصراني الأصل - بلا شك - استطاع الاختلاط بالمسلمين في هذا الجمع الغفير ؛ مع أن ذلك الأمر محرم تماماً على غير المسلمين ؟ ، وحيث إنني لا أستطيع الإجابة عن هذه التساؤلات جميعها ، ولا أستطيع أن أقدم لقرائي شيئاً أكثر من فرضية حذرة وهي : أنه منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد أن اكتشف البرتغاليون الطريق البحري المؤدي إلى رأس الرجاء الصالح ، وكافحوا لفتح الهند كانوا باستمرار مهددين بأن تقوم بحرية السلطنة المملوكية بقطع الطريق البحري عليهم، حيث كانت تحكم مصر، والشام، والجزيرة العربية ، وتسيطر على البحر الأحمر ؛ وبعدما أسقط سليم الأول هذه السلطنة المملوكية سنة ١٥١٧م وورث الأتراك نفوذهم السياسي الخارجي في المحيط الهندي ، وقامت بينهم وبين البرتغاليين حرب على طول سواحل ذلك المحيط . إن أحد الاحتمالات المفترضة أن ذلك الحاج غير المعروف كان عميلاً متنكراً لملك البرتغال، محاولاً جمع معلومات حول بلاد الأعداء ، وربما يبدو هذا الافتراض جذاباً ، لكنه يبدو لي أن هذا الافتراض غير محتمل أبداً ، فمن جهة أن الطريق من القاهرة إلى مكة لم يكن ذا أهمية استراتيجية للبرتغاليين ، ومن جهة أخرى أنه من الصعب الاعتقاد بأن إنجازاً مثل هذا الاختراق إلى قلب الجزيرة العربية أريد له أن يظل مجهولاً ، إذا ما أنجز بأمر ملكي ، وهناك فرضية أخرى يبدو لي أنها تستحق كثيراً من القبول ، فأثناء القتال المستمر بين الأتراك والبرتغاليين أخذ أسرى من الطرفين . إلى جانب ذلك ؛ فإن القراصنة الأتراك والقراصنة البربر في البحر المتوسط كانوا يهاجمون السفن النصرانية كلما استطاعوا الوصول إليها،

وكانوا عادة يبيعون الأسرى كرقيق إلى أنحاء العالم الإسلامي ، ولقد كانت القاهرة واحدة من أكبر وأهم أسواق تلك التجارة سيئة السمعة . ونحن نمتلك الدليل الفعلي على أن الرقيق البرتغاليين عاشوا في القاهرة [١]، ولذلك فنحن نرجح وبدون شك ، أن ذلك الحاج كان أسيراً ، وأصبح رقيقاً . مثل كثير ممن سبق ومن بعده ، فقد اهتدى إلى الإسلام أو تظاهر باعتناقه خاصة من يرافق سيده في رحلته إلى مكة وحالته هذه ليست نادرة تماماً، فنصارى آخرون رقيق ولسوء حظهم أصبحوا غير مخلصين لدينهم ، وخلال هذا الاعتناق الزائف واتتهم الفرصة لرؤية ما يريد كل أوربي رؤيتة ، وهما المدينتان المقدستان في الإسلام ، وعن حج المسلمين . ففي العقد الأول من القرن السابع عشر هناك شاب ألماني من نيرمبرج ويدعى (هانزوايلد) تطوع بصفته جندياً، ثم أسره الأتراك في هنغاريا، وفي النهاية أخذ إلى سوق القاهرة، وفيما بعد قام برحلة مثل رحلة الحاج البرتغالي، وكتب وصفاً ممتعاً عنها بعد ما تحرر وعاد إلى ألمانيا مرة أخرى سنة ١٦١١م [٢]. وبعد سنوات من ذلك سمعنا عن الشاب

---

(١) خلال العامين (١٥٦١ - ١٥٦٢م) حاولت بعثة "jesuit" إلى القاهرة تحرير بعض من هؤلاء الأسرى (see A. Rabbath, Documents, inedits pour servir a histoire, du christianisme en Orient 1 , 229, 238, 247 - 48, 255 , 267 - 68 , 270 , 276, 295).

(٢) قصة شخصية مثيرة ، عن مغامرته طبعت عدة مرات ، اطلعت على الترجمة اللاتينية ، المنشورة كملحق (ص ١٣٠ - ١٥٤) لطبعة رحلة بنيامين التطلي Beniamini Tudelensis Itinera ex versione BEndicti Aria Montani. Subiectac sunt descriptiones Mechae et Medinae alnabi ex itinerarits Ludovici Varatomanni [i. e., Vartema] et lohannis wildii, Leipzig 1764) .

فنتيان (ويبدو أن اسمه ماركوا دو لمباردو) الذي أسر عند عبوره البحر المتوسط، ومعه عمه وكان قبطاناً بحرياً - وفي الثالثة والعشرين من عمره أرسله سيده المسلم من القاهرة إلى مكة كمرافق لابنه الذي كان يريد أداء فريضة الحج . ولم يترك تسجيلاً لرحلته ، فكل ما نعرفه عنه قاله المنصر الفرنسي إيجين دوجر الذي نشر وصفاً للأرض المقدسة سنة ١٦١٦م ، حيث قابل الشاب ماركو الذي أصبح رجلاً في ذلك الحين [١]. أما القصة المضحكة التي تحدث عنها فنتيان للقسيس حول قبر محمد [ﷺ] الطائر بمكة فقد أثارت شكوكاً قوية تشير إلى أنه مدعٍ فيما قاله .

وأخيراً ؛ ففي سنة ١٦٧٨م وبعد قرن وأكثر من البرتغالي الذي ذهب إلى مكة ، هناك رجل إنجليزي اسمه جوزيف بايس أسر على يد قرصان جزائري عندما كان في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره ، وبعد عدد من السنين في الأسر أخذه سيده في رحلة حج إلى مكة والمدينة عن طريق مصر. أما روايته عن تلك الرحلة التي طبعت في العديد من الأوقات ، فقد أثنى عليها لدقتها كما لو أنها عمل للسير رتشارد بيرتون .

وفي سنة ١٥٥٢م أخذ الأتراك حوالي ستين من الضباط والجنود أسرى، عندما هزموا البرتغاليين المسيطرين على ميناء مسقط على الساحل الغربي من خليج عُمان ، وقد أخذ هؤلاء إلى القاهرة حيث مات ما يقارب العشرين منهم في الحال ، وأطلق سراح بعضهم الآخر سنة ١٥٦٤م ، أما الباقون فقد ظلوا في

(١) La Terre Saincte ou description topographiquetres - particuliere des Saincts Lieux, et de la Terre promission ... par F. Eugene Roger Recollet, Missionaire de Barbarie, Paris 1646. P. 236-37.

مصر كرقيق على ما يبدو . فربما يكون حاجنا من بين هؤلاء ، ولسوء الحظ فنحن لا نعرف أسماء كل أسرى مسقط ، ولكن ثمانية منهم من النبلاء البارزين [١] . ويبدو أن الحاج كان ثاقب الذهن ومثقفاً، ومهتماً بالجغرافيا، فقد ظهرت دقته من خلال ما سجله عن المحطات التي مر بها في طريقه .

ويجب ألا تأخذنا الدهشة من وجود تلك الصفات في شخص ما ، الذي فرضت عليه في مناطق بعيدة من آسيا، ومر بخبرات مختلفة من السفر في بلدان قليل المعرفة بها. وبالطبع ؛ فإن الفكرة التي أقصدها هنا لا تعدو أن تكون دعوة معقولة للترجيح لهذه المقولة ، كما أشير هنا إلى أن هذه الفكرة طرحها عليّ الأب سشرهمر ، العالم اليسوعي والخبير البارز في التاريخ الاستعماري البرتغالي في آسيا خلال القرن السادس عشر [٢] .

---

(١) تتحدث المصادر اليمنية المعاصرة لتلك الفترة عن وقوع بعض الأسرى البرتغاليين في يد حكام بعض إمارات جنوب الجزيرة العربية ، وبعث بعضهم إلى الحجاز ومصر ؛ انظر: باحنان ، محمد بن علي بن عوض . جواهر تاريخ الأحقاف ، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ج ٢ ، ص١٩١ - ١٩٢؛ الشاطري ، محمد بن أحمد . أدوار التاريخ الحضرمي ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، ط٣ ، ١٤١٥هـ، ص٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ كذلك الدراسة القيمة للوجود البرتغالي في جنوب الجزيرة العربية التي قام بها المستشرق روبرت سيرجنت من خلال مصادر تاريخية حضرمية ، لم يتوافر لغيره الاطلاع عليها إلا في نطاق ضيق.

Serjent, R, B, The Protuguese off the south Arabian the south coast Hadrami hranicle Librairie du Libnan Beirut 1974 - pp. 41-129, [الترجمة العربية]

(٢) Father Schurhammer quoted as his sources : an unpublished letter of the Jesuit Miguel da Nobrega to st. Lgnace, dated from Cairo, August 2, 1535 (in the Archives of the jesuits at Rome. Epistolae. 60) Diogo do Couto, Da Asia x 1-2 (p. 408 - 415 in the 1781 edition) Itinerarios da India a portugal por terra, revistos por Baiao, coimbra 1923, p. 136.

وليس من الصعب فهم سبب كتابة وثيقتنا بالشفرة [١]. فربما كان مؤلفها خائفاً من المسلمين الذين يعيش بينهم ، فقد يداخلهم الشك أنه خائن عندما يكتشفون أنه يحتفظ بسجل خطة سير الرحلة ، وربما يكون كتب تقريره السابق أيضاً وهو عائد إلى أوربا ، ولا يريد أن يعرف أبناء بلده أنه ذهب إلى مكة كمسلم ، فقد كانت الكنيسة الكاثولكية فضولية ، وقاسية إلى حد بعيد في ذلك الوقت على التائبين من تغيير دينهم من أمثال كوادرا الذي أجبر على أن يقضي بقية أيامه في الدير الفرنسيسكاني ، وربما كان ذلك معوقاً لحاجنا عن الإفصاح بتجربته الفريدة . وعلى أي حال ؛ فإننا على يقين تقريباً أن الحج سنة ١٥٦٥م كان أحد الأحداث الأخيرة في الأسر ، وأنه سرعان ما نجح في العودة إلى العالم المسيحي سواء من خلال الفدية أو الهرب .

ومن خلال الدراسة العلمية لبعض فهارس المخطوطات الشرقية القديمة في مكتبة الفاتيكان [٢] ، استخلصت أن المخطوطة العربية رقم ٢١٧ قد دخلت المكتبة بين عام ١٥٦٩ - ١٥٧٤م ، ولذلك فلابد أن مالكها قد باعها أو أهداها بين عامي ١٥٦٥ - ١٥٧٤م ، ونحن لا نعرف بالطبع إن هي ذهبت من

(١) يمكن أن أشير فيما يتعلق بذلك إلى الرحالة الإنجليزي "فيترمورسون" "Fynes Moryson" في الشرق في السنوات ١٥٩٥ - ١٥٩٧م ، حيث أرشد الرحالة في المستقبل لوضع سجل لرحلاتهم ، كحماية أفضل في حالة الطوارئ ، هذه الملاحظات ربما كتبت في رموز.

Itinerary, published in 1617 quoted by chew , The crescent and the Rose, p.35 .

(٢) G. Levi Della Vida , Ricerche sulla formazione del piu antico fond dei manoscritti orientali della Biblioteca vaticana, vatican city 1939 , p.172- 73 (studi e Testi, 92) .

يده إلى أمناء مكتبة البابا ؛ أم من أيديهم إلى أناس آخرين ؛ ونظراً إلى أن بعض الوثائق في أرشيفات حكومة البرتغال وبلدان أوربية أخرى ، إلى جانب أرشيف الفاتيكان والأوامر الدينية المختلفة مازالت دون دراسة، فليس مستحيلاً - ولو بالمصادفة - أن تسلط أضواء جديدة في المستقبل على الحاج البرتغالي .

ومن اللافت للنظر أن رواية مشابهة لتقريره موجودة في وثيقة قد طبعت منذ أكثر من ثلاثة قرون مضت ، قد أغفلت من قبل كل الذين كتبوا عن التوغل الأوربي في الجزيرة العربية إلى أن أشار إلى أهميتها البروفسور شو في "الرحلات الملاحية الرئيسية" (١)، عند هكليت (نشر عام ١٥٩٨-١٦٠٠م)، فقد وجدنا وصفاً مفصلاً للغاية عن الإسكندرية والقاهرة ، مع تقرير عن خط سير الحج من هناك إلى مكة فوصفاً لهذه المدينة ، والمدينة المنورة ؛ وهذه الرواية التي غطت ستاً وثلاثين صفحة (٢) مجهولة ولا تحمل إشارات ظاهرة عن مصدرها ، وزمن تأليفها الذي حدده "هكليت" بتاريخ ١٥٨٥م تقريباً ، وهي في الحقيقة تبدو أنها كتبت بين عامي ١٥٧٤ و ١٥٩٥م حيث إنها أشارت إلى مراد الثالث السلطان الحاكم للأتراك ، كما قال شو إنها : "تحتوي على خليط من الروايات القديمة، ويمكن أن تكون معلومات نقلت عن الحجاج لبعض الرحالة الإنجليز في الشرق" . ومن وجهة نظري، أنها لم تكن قصة من نسق واحد ولكن يبدو أنها ترجمت عن اللغة الإيطالية الأصلية . فالعديد من الكلمات وخاصة أسماء الأعلام أعطيت الشكل الإيطالي ، فمن الواضح أن المترجم لم يكن

(١) The crescent and the Rose , p. 427, 28.

(٢) Hakluyt, 5, 329-65(Glasgow edition , 1904) .

يعرف تحويلها بدقة إلى اللغة الإنجليزية، مثال ذلك: La colonna“ (P. 330) Faraone ، [مدينة رشيد] Rossetto (الصفحة نفسها) ، di pomeio” (P331) ، (الصفحة نفسها) Fontechi [تعني بالعربية فندق أو مستودع] Damiata (P333) ،[1] Serifo (351)، (الصفحة نفسها) Emyri، (الصفحة نفسها) Mosquita ،[2] Pascha di Ramazan (P354) (بسبب خطأ في التهجئة أو في الطباعة كتبت عوضاً عن رمضان وبلفظة الأتراك رمدان) [3] ، وأشار المؤلف إلى "صندوق مصنوع" (Legmame) وصناعته تشبه " صندوق العهد القديم" (Comp. p362 : atombe ... of legmame) ، إن كلمة "Legmame” لا توجد في قاموس أكسفورد، ومن المحتمل أن يكون خطأ في الترجمة الحرفية ، أو ربما يكون تعبيراً شعبياً في الإيطالية ، وهي تعني الخشب المنشور "Lumber” وعند الفينسيين أن الكتلة السياسية يشار إليها بعبارة (سادة فينيسيا) وهي ترجمة لمصطلح (ignori venziani)، وهو اللقب المتداول للأعضاء في الجمهورية خلال عهد قوتها . "النبيل داينال باربارو ، أول

(١) دمياط ، المدينة المصرية المعروفة يمر بها أحد فرعي نهر النيل ، [الترجمة العربية] .

(٢) مسقط - عاصمة سلطنة عمان المعروفة ، [الترجمة العربية] .

(٣) Immediately after, the author mentions the day of “Bine Bairam, that is to say The Great Feast.” “Bine” , must be a misspelling or a misprint for “Biuc” , i. e, the Turkish word buyuk, “great” obviously, either the Italian original or the manuscript of the English Translation failed to spell corretly some of the foreign names and words which are found in the document, Another example of misspelling in ‘Amni’ p. 358, instead of Amin .

قنصل" (أشار إليه في صفحة ٣٣٨) ، بغض النظر عن جنسيته كما لو أنها معروفة ، ولذلك اكتفى بقوله القنصل الفنيسي . أخيراً ؛ فإن مسلة المطرية (هليوبولس القديمة) تشابه تلك التي في روما في "الصفحة نفسها" ، وعن البيوت في مكة، قال إن بناياتها تشبه تلك التي في إيطاليا (صفحة ٣٥٢) . فإذا لم يكن المؤلف فينيسياً - وهو الذي أرجحه وأميل إليه - ؛ فإنه بالتأكيد إيطالي له بعض الروابط مع فينيسيا، أو أراد أن يُقرأ تقريره هناك . إن وصف الطريق إلى مكة والمدينة وما بينها ، وطريق الحجاج غطى خمساً وعشرين صفحة ، ولذلك فلا تضاهي في طولها وتفصيلاتها يوميات الحاج البرتغالي القصيرة ، وعلى الرغم من ذلك ؛ فإن بعض سمات العملين متماثلة تقريباً مثل المحطات على الطريق (مع أن التهجئة تختلف بعض الشي)[1]، وفي بعض

(١) "certain castles found in the way, which bee these, namely, Agerut, Nachel, Acba, Biritem, Muel, and Ezlem ... The carovan departing from Birca until Agerut findeth no water by the way to drink, neither from Agerut till Nachel, nor from Nachel till Acaba, but between Acba and Biritem are found two waters, one called Agium el Cassap. and the other Magaraxiaibi ..." (p. 346) - "Jehbir [a misspelling for jenbo i. e., Yanbo'] which in the begining and confine of the state and realme of Serifo the King of Mecca" (p. 348) .- "... ye great Mosquita ... is made in maner of a cloister, for that in the midst thereot separate from the rest, is the above sayd house of Abraham, also the galleries round about are in maner of 4. streetes, and the partitions which divide one street from the other are pillars, where of some are of marble, and other of lime and stone . This famous and sumptuous Mosquita has.==

التفصيلات ، وبالطبع ؛ فإن نص "هكليت" لا يعني أنه كتب بواسطة البرتغاليين ، وكذلك تقريري الملاحظين المستقلين عن الموضوع نفسه ، فربما يتصادف التطابق بينهما .

وعلى أيّ حال : فإما أن البرتغالي ذهب إلى إيطاليا بعد أن تحرر من أسره، أو على الأقل حدث احتكاك مع الإيطاليين بطريقة أخرى ، إنه تفسير لتلك المخطوطة ، وإذن كيف يمكن تفسير أن المخطوطة التي يمتلكها أخذت طريقها إلى مكتبة الفاتيكان ؟ ، وربما لا يكون محتملاً ، بالرغم من الدليل المحدد أن هناك نوعاً من العلاقة بين الوثيقتين (١) .

== 99. Gates, and 5. Steeples [the pilgrim has six] ... "(p. 352 - 53) - " the house of Abrahim is also four squire, and made of speckled stone, 20. Paces high, and 40, in circuit And upon one side of this house within the wall, there is a stone of a span long, and half a span board ... This house has without 31. pillars of brasse, set upon cubike or squiare stones being red and greene [the pilgrim has white instead of green] the which pillars sustaineth, not ought, els save a threed of copper, which reacheth from one to another, whereunt are fastened many burning lampes. These pillars of brass were caused to be made by sultan Soliman, grand, - father to sultan Amurath, now Emperor" (p. 35) . The pilgrim and the Hakluyt text are the only western sources, so far as I Know, to mention the thirty - one metal pillars around the Ka, ba .

(١) وهنا افتراض يمكن الأخذ به - بالرغم من أن هذه الفرضية، مدعومة بالكثير من الشواهد -، إلا أنني أستطيع أن أقول إن ذلك الحاج البرتغالي لم ينجح في الإفلات من أسره والعودة إلى أوربا ، وإنما قدم نسخة من القرآن إلى أحد أصدقائه الإيطاليين في القاهرة، ثم زوده بمعلومات عن رحلته إلى مكة .